

المحاضرة الثالثة: السرديات الشعبية (الملاحم)

تمهيد:

تعدّ الملاحم من أقدم الأنواع الأدبية ظهوراً، على الإطلاق، حيث تعود بدايات ظهورها إلى الحضارات العريقة والمتعاقبة على إثر الحضارة السومارية منذ الألف الرابعة قبل الميلاد. وفيما يأتي توضيح لتلك الحضارات المتعاقبة والتي عرفت فن الملاحم في وقت مبكر:

- الحضارة السومارية: من 3500 ق.م إلى 2500 ق.م عاصمتها (أوروك) بالعراق.
- الحضارة الأكادية: من 2350 ق.م إلى 2150 ق.م
- الحضارة البابلية الأولى: من 1830 ق.م إلى 1530 ق.م عاصمتها (بابل) بالعراق.
- الحضارة الأكاشية: من 1600 ق.م إلى 1150 ق.م
- الحضارة الأشورية: من 1700 ق.م إلى 1200 ق.م عاصمتها (أشور) ببلاد الرافدين.
- الحضارة الحثية: ابتداء من 1200 ق.م. عاصمتها (قلقيش).
- الحضارة البابلية الثانية: ابتداء من 900 ق.م بالعراق.

مفهوم الملحمة:

الملاحم في اللغة العربية جمع ملحمة، وهي في المعاجم تعني: "الموقع الحربية التي تلتحم فيها أجساد المحاربين، ويتناثر فيها اللحم والأشلاء..." وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم، عند فتح مكة: اليوم يوم الملحمة، فقال عليه الصلاة والسلام: اليوم يوم الرحمة.

أما المفهوم الأجنبي للملحمة (Epic) فيقودنا إلى الجنس الأدبي العريق الذي يتمحور حول المفهوم الآتي: "قصة شعرية بطولية طويلة تختصّ ببطل من الأبطال أو أمة أو شعب، تروي أحداثاً بطولية يمتزج فيها الواقعي بالخيالي والأسطوري، وتكثر فيها الخوارق".

أهم الملاحم العالمية:

1- ملحمة إينوما إيليش:

معنى إينوما (فوق) وإيليش (عندما) ويدلّ هذا على التفكير الميتافيزيقي أي عالم اللاهوت، وهي تمجيد للإله (مودوك/مردوخ) الذي انفرد بالسلطان والملك، وهو الذي أوجد الكون وخلق الإنسان في التفكير البدائي وفي منظور هذه الملحمة.

تنطلق الملحمة من العدم حيث لا شيء سوى الإله (أبسو) والإلهة (تهامة) الذين أنجبا أبناء عديدين، لكن هؤلاء الأبناء ثاروا عليهما وقتلوا أباهم، وحاولوا الفتك بأهمهم، إلا أنها أنجبت أنواعا من الشرور والأوبئة لمقاومة أبنائها مثل (التنين- الرجل العقرب- الشيطان- المخلوقات الضارية...) حينها اختار الأبناء واحدا منهم وسلموه أمر الملك والسلطان، وهو الإله (مردوك) تولّى شأن أمّه، ففضى عليها، وشقها شقين، فصنع من الشقّ الأول قبة السماء، ومن الشقّ الثاني صنع الأرض وأوجد الإنسان !

2- ملحمة الإلياذة لهوميروس:

أحداثها تعود إلى 1200 ق.م، ملحمة مقسمة إلى 24 أنشودة تقع في 15500 بيت، صاغها هوميروس (840 ق.م) بلغة شعرية، تدور أحداثها حول محاصرة اليونانيين لمدينة طروادة (إليون) في حرب دامت 10 سنوات. سببها المباشر اختطاف (باريس) بن بريام ملك طروادة لـ (هيلانة) زوجة (مينيلاوس) ملك إسبرطة اليونانية...

3- ملحمة الأوديسة لهوميروس:

ملحمة مقسمة إلى 24 أنشودة، تقع في 12000 بيت. تروي عودة البطل اليوناني (أوديس) من حرب طروادة التي انتهت بوفاة (هكتور) إلى مدينة (إيتاك). وتروي مغامراته في البحر بمدة 10 سنوات، وقصة وفاء زوجته.

4- ملحمة المهابهارتا الهندية:

تقع في 100000 بيت، باللغة السنسكريتية، وهي مجموعة من الحكايات والأساطير والخرافات المتوارثة، تدور حول الحروب التي وقعت بين قبيلتي (الكورو) و(البانشالا). وهناك ملحمة أخرى هندية هي (الرميانا) فيها مغامرات بطولية.

5- ملحمة هيسود:

(700 ق.م) ملحمة تناولت أنساب الآلهة بدقة وحياء البشر معهم، وتسمى أيضا ملحمة (الأعمال والأيام).

6- ملحمة الإنياذة لفرجيل:

ملحمة رومانية تدور أحداثها حول البطل الطروادي (إنياس) الذي ترك طروادة بعد سقوطها على يد اليونان، وفرّ إلى قرطاجنة ثم إلى إيطاليا، حيث أسس الدولة الرومانية مع الملك (لاتينيوس).

7- ملحمة الشهنامة للفردوسي:

ملحمة فارسية تقع في 60000 بيت، تناولت بدء الخليقة، وطرق الحياة في بلاد فارس، وسير ملوكها. وهناك كثير من الشاهينامات، أشهرها شاهينامة الفردوسي.

8- ملحمة الكوميديا الإلهية لدانتي:

ملحمة إيطالية ألّفت في القرن 13 م تروي قصة دانتي الذي رحل إلى عالم الأموات بحثاً عن حبيبته (بياتريس) وبعدها صعد إلى الأرض حيث المطهر، وأخيراً عرج إلى السماوات العلا حيث الفردوس.

9- ملحمة بيولف:

من الآداب الإنجليزية الوثنية القديمة، تشيد بالبطل "بيولف".